

قَوْلُ الْهَجَوِيِّ

Notes Lexicographiques.

الحجون خلال القرون
L' Agôn à travers les siècles.

١ — تمهيد

او اصل البحث منذ سنين طويلة في اللغتين اليونانية والعربية عن الصلة التي تجمع بينهما . فانتج لي بحثي خلاف ما اتجه لعلما الغرب ، أي ان بين اللغتين صلات وثيقة لا تنكر . وفي اغلب الاحيان لا يفسر الالفاظ اليونانية إلا بالوقوف على اسرار اللغة العربية . هذا اذا كانت الالفاظ اليونانية قديمة وكانت تلك الالفاظ نفسها عريقة في لغتنا ايضا . نقول ذلك عن الحروف الثمانية الهجاء في اللغتين اوعن التي ترد بعناء قليل الى مقطعين اذا انعم الباحث نظر في الصلة الجامعة بين اللسانين . وقد بعكس الامر اذا كانت الكلم العربية مولدة او علمية او كثيرة الاهجية (المقاطع) ففي اغلب الاحيان تكون دخيلة او منحوتة او او مزيدا فيها حرف او حرفان او ثلاثة تغيد فائدة جديدة لا ترى لو بقيت تلك الكلمة على حروفها الاولى .

ومما هو غريب في هذا الباب ان السلف قد حفظ الفاظا لم يبق لها معنى اليوم وكان لها معنى او معان في السابق . ولا يعرف ذلك إلا من مقابلة اللغات ففي الالفاظ السامية الوضع . ينظر الى معانيها في اللغات الاخوات . وفي الالفاظ الفارسية الاصل ينظر اليها في اللغات الآرية ولا سيما في الفارسية . وفي ما عدا ذلك تقابل بالالفاظ اليونانية .

وقد كشفت لي هذه المقابلة اسراراً عجيبة . وانا اذكر هنا مثالا من امثلة محفوظة عندي بالمثلث لا بالعشرات . من ذلك الحجون :

٢ — الحجون عند السلف

« الحجون جبل باعل مكة عنده مدائن اهلها . وقال السكري : مكان من »

اليست على ميل ونصف . وقال السهيلي : على فرسخ وثلاث ، عليه سقيفة الزباد ابن عبد الله الحارثي وكان عاملا على مكة في أيام السفاح وبعض أيام المنصور . وقال الاصمعي : الحجون هو الجبل المشرف الذي بهذا مسجد البيعة على شعب الجزارين . (بحرفه عن فحجم ياقوت) .

وإذا سألتنا اللغويين عن سبب هذه التسمية قالوا لنا : الحجون مشتقة من الحجن وهو الأعوجاج ، ومنه غزوة حجون التي يظهر فيها الغازي الغزو الى موضع ثم يخالف الى غيره وقيل هي البعيدة . قال ابن الأثير : الحجون : الجبل المشرف مما يلي شعب الجزارين بمكة ، وقيل هو موضع بمكة فيم أعوجاج . قال : والمشهور الأول . لا فقله والمشهور الأول يعني ان هذا التأويل هو في غير محله اذ هناك من الأسباب ما نجعل تأويله . فالقول اذن ان الحجون مأخوذ من معنى الأعوجاج لا صحة له .

وعندنا ان الرأي الصحيح هو ان الحجون مأخوذ من الحجنة والحجنة على ما نقله لنا اللغويون هو اسم مصدر لاحتجن واحتجان الشيء جمعه وضمه اليك (راجع اللسان والقاموس والتاج والاساس وابن فارس في المقاييس والليث في العين) فيكون للحجون معنيان : معنى يتعلق به وبطبيعته اي انه سمي حجونا لاجتماع مواد بعضها الى بعض . ومعنى يتعلق بمن يصير اليه اي ان عند هذا الجبل يجتمع الناس ومثل مادة ح ج ن مادة : ح ج م فهي تدل على الاجتماع والانضمام . ولما كان رأينا ان اصل مادة كل فعل ثلاثي الحروف ثنائي الحروف كان اصل ح ج ن : ح ج (باصطلاح اللغويين او الصرفيين ح ج ج) ومنه الحج اي الاجتماع لغاية دنية . وليس كما قال بعض المستشرقين ان الحج مشتق من اليونانية agios ومعناه القديس والمنزلة عن الدنيا والصالح البار . انما هو من الحج كما قلنا اي من معنى الاجتماع .

اما ان معنى الحجون هو الجبل الذي يجتمع عليه الناس ، او ينضم عنده الناس بعضهم الى بعض فتراه محفوظا صريحا في الكتب اليونانية ؛ إلا ان هذا المعنى لم يجرى عندهم إلا بعد ان تنقلت اللفظة من حالة الى حالة فتبعها المعاني وتدرجت معها كلما اوغلت الالة في الحضارة ، وما من لغة تدلنا على هذا الامعان

في المعاني مثل هذه اللغة الهلنية (اليونانية) التي حفظت لنا هذا التدرج او التخطي فيه ونحن نذكر للقارى كل ذلك حسب وروده في القدم الى ان انتقل المعنى الى القرار الاخير فوقف عنده ، ونقابل كل معنى جديد بما يؤول في لغتنا الضاربة فتكون هذه الممارسة مثالا لمئات من الكلمات اتت على هذا الوجه ، ويمكننا ان نخرجها على هذا الاسلوب اللغوي .

٣ - اول معاني الحجون

اول ما جاء عندهم لفظ الحجون كان بمعنى المجتمع والمحتشد وهذا يناسبه عندنا اللفظ العربي نفسه كما اوضحناه في صدر هذا المقال ؛ ثم نقله الهليون الى معنى مجتمع الالهة او مجتمع تماثيل الالهة ، فيكون معناه في الوقت عينه موطن يجتمع فيه الشعب للدهاء والصلاة ويكون ذلك امام هيكل الاله ؛ ثم توسعوا في معناه ، وارادوا به المجتمع ايا كان ، اي محل اجتماع الناس لاي غاية كانت ، فصلى عندهم على عشرين اي محل في الاول تبس تجتمع فيه الالهة وصدق ايضا على المكلا (وزان المعظم) وهو المحل الذي تقف فيه السفن . اما في لغتنا فالتالم نجد السلف ذكروا للحجون هذا المعنى لاسباب : منها لانهم ازالوا عن اللغة كل لفظ او معنى يدل على تحبيب الوثنية . لكننا نرى ان هذا المعنى كان معروفا عندهم وانت لم يصرحوا به تصريحاً بينا وذلك من سماعتنا ايهم يقولون ان عند الحجون كانت مدافن المكيين في سابق العهد . وانت خير ان المدافن كانت منذ اقدم الناس بالحضارة في المواطن المقدسة . بل نشاهد هذا الامر الى عهدنا هذا ؛ ولم يعطل في بعض المدن إلا في العهد الحديث خوفاً على صحة الناس . اذ قد يمكن ان تظهر بعض الامراض الوافدة من كشف المقابر وانتشار الجراثيم المضرة الموجودة في بقايا الاموات بين الاحياء من الخلق . اذنت اتنا نرى في الحجون معبدا لآلهة وثنيي العرب ومحل اجتماعاتهم ثم بعد ذلك اصبح مدفن الموتاهم . وهذا امر معقول لا ينبغي معتقد اي دين كان .

٤ - المعنى الثاني للحجون

ما ذكرناه من معنى اللفظة (لفظة الحجون) عند اليونان هو معناه الاول مع عدة فروع تفرعت منه ؛ ثم وقع معنى ثان آخر مع فروع اخرى ، وهو ان الحجون يفيد عندهم معنى المجتمع للالعب العامة . وهذا المعنى غير خفي عن

الأذهان : لأن الناس إذا اجتمعوا للامور الدينية في موطن ، لا يمكنهم ان يبقوا طويلا في الدعاء والصلاة والابتهاال، بل يستريحون من وقت الى وقت وفي استراحتهم يندفعون الى الملاهي والالعب وشؤون الناس . وهذا ما يقع في جميع البلاد وفي جميع الأديان . ألا نعلم ان كثيرا من الملاهي اصلها من المجتمعات الدينية ؟ وليس اصحاب الفساد يشتهرون فرس المنتديات والمحششات ليلها انقسم بما يحظره الدين ؟ وما يقع اليوم وسوف يقع الى آخر الدنيا ، كان يقع في سابق العهد . وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ومن المعنى المذكور نشأ فرع وهو : محل لهذه الالعب او الميدان : والميدان عندهم محل واسع مفروش بالرمل وحوله مقاعد للتأظرين فينزل في ساحته المصارعون والمتروضون واللاعبون انواع الالعب . ولم يسم ميدانا إلا لما فيه من الرمل فكأن ارض تلك الساحة تميد بمن عليها في اثناء اللعب . - وما نحن اولاء بين يدي معنى جديد هو الميدان والعب الميدان . وهذه الالعب كانت كثيرة العنود منها : الملائكة والمصارعة وفيها الهجوم والدفاع ، الكر والفر ، الفتك والصد . ولقد بقي في لغتنا هذا المعنى وهو قولنا : حين فلان فلانا عن كذا : اذا صده وصرفه . ونحن الشيء : جذبنا بالمعجن الى نفسه . والمعجن هو العصا المنمطغة الراس كالصولجان وكل معطوف معوج . ولعب المعجن معروف عندنا الان ويعرف بلعب الدرك (مثل سكر) وكان معروفا عند الهنئين ويلعبون في ذلك الميدان الذي اشرنا اليه .

اذن من معاني الحجون عندهم وعندنا الميدان والعب الميدان بانواعها ، إلا ان هذا المعنى مات عندنا واضمححل وبقي منه آثار في معنى الحجين والمعجن ولعب المعجن .

• - المعنى الثالث للحجون

لم يقف المعنى عند الميدان والعبه ، بل انتقل الى معنى ثالث هو المصارعة او المحاربة او الغزو انت بالاسلحة وان بالكلام أو باقافة الدعاوي . ولقد نرى اثر هذا المعنى ايضا في لغتنا اذ من معاني الحجون فيها : كل غزوة تظهر غيرها ثم تخالف الى غير ذلك الموضع ويقصد اليها . فهذه حقيقة من

بدائع هذه اللغة التي يفوق جمالها جمال سائر اللغات ، اذ قد احتفظت بأدق المعاني واجلها . - ومن تعابير اليونانيين في هذا الصدد قولهم : الحجون للبقاء. Agôn perì tes psuchēs. وهو كما نقول اليوم : تنازع البقاء . لكن في قولهم وقولنا «الحجون للبقاء» من دقة المعنى وتصوير الاحتمال على النير للفوز بالامنية ما لا يرى في قولك : «تنازع البقاء»

ومن فروع هذا المعنى الثالث ورود الحجون عندهم بمعنى الفاية المقصودة من المصارعة أو الغزوة والخطر الناشئ. من تلك المصارعة والغزوة : اذن جاء الحجون عندهم بمعنى التهلكة مهما كانت وان لم يكن هناك مصارعة او غزوة . ومن فروع ذلك المعنى ايضا الساعة الخطرة التي يفصل فيها نتاج الامر وختامه وهناك فرع سابع واخير للمعنى الثالث هو ورود اللفظة بمعنى الخوف والقلق لان المرء اذا جهل نتاج امر مهم بقي في اضطراب لا يتوقمه .

هذه المعاني هي المشهور وطورز تفرعها تفرع الافنان والافصان من جذع الشجرة .

٦ - معنى آخر للحجون

ومن معاني الحجون التي لم نذكرها معنى : آله الذي يحامي عن الآلعب العائمة .

انك تعلم ان الوثنيين اقاموا لهم آلهة ومعبودين يوافقونهم على جميع اهوائهم ويصنعونهم فيها . ومن جعلها هذا الآله الغريب الذي لا عمل له سوى الدفاع عن الآلعب العائمة وحث الشعب على اقامتها و الانتفاع بمعاسنها . ولاجرم ان هذا الآله لم يتخذ إلا بعد اختراع تلك الآلعب ؛ على ان المعترفين بوجوده لا يقولون بذلك بل ينهبون الى ان المعبود المذكور كان موجودا قبل الآلعب نفسها ، بيد ان الناس لم يعرفوه إلا بعد عهد الآلعب . وعلى كل حال فان مقامه بين تفرع المعاني غير معين فجعلناه هنا مع التنبيه الى قلق مكانه من المعاني المذكورة .

٧ - من اين جاءت كلمة الحجون عندهم وعندنا

الحجون عند اليونانيين مشتقة من فعل Agō الذي له عدة معان ومن جعلها ساق ودفع الى مجتمع ثم تفرعت سائر المعاني من باب التوسع ؛ على ما ينال في صدر المقال . وكذلك القول عن مادة ح ج ن العربية . فانها ناشئة من مادة ح ج ا

(اي ح ج و) . قال لغويونا . حجت الريح السفينة : ساقها . ومن السلف
وقائلهم من كان يجعل الجيم دالا وبالعكس فقالوا في حجا : حدا ومنه قولهم :
حدا فلان الابل : وحدا بها زجرها وساقها . وحدت الريح السحاب ساقته كحجته
وهكذا لو اردنا ان نتبع هذه المادة وفروعها لكشفنا لنا اسراراً هي غامضة في
نظر البعض . الا انها جلية واضحة في نظر اللغوي متقفي الحبايا في الزوايا .

ولو كتبنا عن هذه المادة خمسين صفحة لما كفتنا لقتل الموضوع بحثاً الا اننا
اردنا ان نشير الى ما في ثناياها من الاسرار والغوامض ليقاس عليها مثلات من
الالفاظ . يسار بها هذا السير من التحقيق والتدقيق . فتتلاقى فيه اللغتان اليونانية
والعربية وتتصافحان لتعترفا بان الواحدة هي اخت الاخرى وليس كما يظن ابناء
الغرب . انهما عدوان لا يتلاقيان في شيء من الالفاظ ابد الدهر !

٨ - اعتراض

ورب معترض يقول : ان الحرف الاول في اليونانية هو حرف رقيق (اي
همزة Esprit doux) اما في العربية فهو حرف مخم Esprit fort فالكلمتان
غير متشابهتين؟

قلنا : من شان لغات الغربيين ان يخففوا الحروف الحلقية تيسيراً للتلفظ
بها . فهم يقولون مثلاً هوا وتوء واساك وباكوب . اما نحن العرب مع جميع
الساميين فنبقي الحروف الحلقية على حالها ونقول : حواء ، ونوح ، واسحاق ويعقوب
وامثال هذا التعبير لا يعد بالعشرات او بالمئات بل بالالوف . فهو اشتهر من ان يذكر .

٩ - الختام

وفي الختام نصرح للقراء اننا جمعنا مثل هذه الكلم شيئا كثاراً لا يحصى
ونريد على ذلك : ان بعض الالفاظ اليونانية او الرومية لا تنجلي معانيها إلا بمراجعة
العربية التي فيها ، وفيها وحدها . مفتاح جميع المغلفات . ولا بد من اتنا نيين
شيئا من هذه الغوامض كلما اتسع لنا المجال او وافقتنا الاحوال . ونحن لانرتاب
ابداً في صحة قولنا ، وان خالفنا به ابناء الغرب من المستشرقين بل خالفنا به
ابناء هذه اللغة العققة الاغرار الذين يدعون العلم ومعرفة اصول اللغة وهم بعداء
عنها بعد الثريا عن الثرى . فليصغوا انفسهم وامتهجوا لغتهم ووطنهم .